قَبْلَ أَنْ تَغْرَقَ السَّفِينَةُ ..
أَنْقِذُوا الشَّبَابَ!

تَمْهِيدٌ

الشَّبَابُ: الفَتَاءُ وَالحَدَاثَةُ. شَبَّ يَشِبُّ شَبَابًا وَشَبِيبَةً. وَالِاسْمُ: الشَّبِيبَةُ، وَهُوَ خِلَافُ الشَّيْبِ. وَالشَّبَابُ: جَمْعُ شَابٍّ، وَكَذَلِكَ الشُّبَّان. وَرَجُلٌ شَابٌّ، وَالجَمْعُ: شُبَّانٌ، وَالشَّبَابُ اسْمٌ لِلْجَمْعِ، وَامْرَأَةٌ شَابَّةٌ مِنْ نِسْوَةٍ شَوَابٍّ.

وَحَكَىٰ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ: رَجُل شَبٌّ، وَامْرَأَةٌ شَبَّةٌ، يَعْنِي مِنَ الشَّبابِ.

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: يَجُوزُ نِسْوَةٌ شَبَائِبُ، فِي مَعْنَىٰ شَوَابّ.

قَالَ الأَزْهَرِيُّ: شَبَائِبُ؛ جَمْعُ: شَبَّةٍ، لَا جَمْعُ: شَابَّةٍ؛ مِثْلُ: ضَرَّةٍ وَضَرائِرَ. وَأَشَبَّ الرَّجُلُ بَنِينَ إِذَا شَبَّ وَلَدُهُ. وَكَذَا لِلْمَرْأَةِ. وَمَرَرْتُ بِرِجَالٍ شَبَبَةٍ؛ أَيْ: شُبَّانٍ. وَاحِدُهُمْ: شَابٌّ.

وَفِي المَثَلِ: أَعْيَيْتَنِي مِن شُبَّ إِلَىٰ دُبَّ، وَمِنْ شُبٍّ إِلَىٰ دُبٍّ؛ أَي مِنْ لَدُنْ شَبَبْتُ إِلَىٰ أَنْ دَبَبْتُ عَلَىٰ العَصَا؛ يُجْعَلُ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الِاسْمِ، بِإِدْخَالِ (مِنْ) عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ فِي الأَصْلِ فِعْلًا. يُقَالُ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ وَالمَرْأَةِ.

انْظُرْ: (لِسَان العَرَب).

****

مَرَاحِلُ حَيَاةِ الإِنْسَانِ:

١. مَرْحَلَةُ: (الجِنَانَة).

٢. مَرْحَلَةُ: (الطُّفُولَةِ وَالصِّبَا).

٣. مَرْحَلَةُ: (الأَشَدّ)؛ وَهِيَ: مَرْحَلَةُ الشَّبَابِ.

٤. مَرْحَلَةُ: (الشَّيْخُوخَة).

٥. (المَوْت).

قَدْ خَلَقَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (آدَمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ زَوْجَهُ (حَوَّاءَ)، وَمِنْهُمَا بَدَأَ التَّنَاسُلُ البَشَرِيُّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النِّسَاء/ ١).

وَقَدْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَنَّهُ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَى أَطْوَارٍ وَمَرَاحِلَ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى مُوَبِّخًا الكَافِرِينَ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ (نُوح/ ١٤).

١. مَرْحَلَةُ الجِنَانَة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ (النَّجْم/ ٣٢)، ثُمَّ بَيَّنَ وَفَصَّلَ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَرَاحِلَ نُمُوِّ (الجَنِين) فِي بَطْنِ أُمِّهِ؛ فِي عَدَدٍ مِنْ آيَاتِ القُرْآنِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المُؤْمِنُون/ ١٢- ١٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ، أَوْ سَعِيدٌ. ....**» الحَدِيث (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

٢. مَرْحَلَةُ الطُّفُولَةِ وَالصِّبَا:

المَوْلُودُ يُسَمَّى (طِفْلًا)، وَ(صَبِيًّا) أَوْ (صَبِيَّة)، وَتَمْتَدُّ مُنْذُ الوِلَادَةِ حَتَّى البُلُوغِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ (النُّور/ ٥٩).

٣. مَرْحَلَةُ الأَشُدِّ:

وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ هَذِهِ المَرْحَلَةِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ (الأحقاف/ ١٥)، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ (الأنعام/ ١٥٢).

وَ(الأَشُدُّ) فِي اللُّغَةِ: القُوَّةُ، وَمَبْلَغُ الرَّجُلِ الحِنْكَةِ وَالمَعْرِفَةِ.، وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ: الأَشُدُّ فِي كِتَابِ اللهِ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ مَعَانٍ يَقْرُبُ اِخْتِلَافُهَا:

١. فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ (يُوسُف) عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿٢٢﴾﴾ (يُوسُف/ ٢٢)، فَمَعْنَاهُ: الإِدْرَاكُ وَالبُلُوغُ، وَحِينَئِذٍ رَاوَدَتْهُ امْرَأَةُ العَزِيزِ عَنْ نَفْسِهِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ (الأنعام/ ١٥٢).

[قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ فِي (قَصَصِ الأَنْبِيَاءِ):

"وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مُدَّةِ الْعُمُرِ الَّذِي هُوَ بُلُوغُ الْأَشُدِّ: فَقَالَ مَالِكٌ وَرَبِيعَةُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَالشَّعْبِيُّ: هُوَ الْحُلُمُ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: عِشْرُونَ سَنَةً.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: **خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً**.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: **ثَلَاثُونَ سَنَةً**.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: **ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً**.

وَقَالَ الحَسَنُ: **أَرْبَعُونَ سَنَةً**، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾]

٢. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (القصص/ ١٤)، فَإِنَّهُ قَرَنَ بُلُوغَ (الأَشُدِّ) بِالِاسْتِوَاءِ؛ وَهُوَ: أَنْ يَجْتَمِعَ أَمْرُهُ وَقُوَّتُهُ، وَيَكْتَهِلُ وَيَنْتَهِي شَبَابُهُ.

٣. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الأَحْقَافِ): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، فَهُوَ أَقْصَى نِهَايَةِ بُلُوغِ الأَشُدِّ؛ وَعِنْدَ تَمَامِهَا بَعَثَ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا، وَقَدِ اجْتَمَعَتْ حِنْكَتُهُ وَتَمَامُ عَقْلِهِ.أ.هـ.

وَمَبْدَأُ هَذِهِ المَرْحَلَةِ وَنِهَايَتِهَا فِيهَا أَقْوَالٌ؛ أَهَمُّهَا:

الأَشُدُّ: يَبْدَأُ بِبُلُوغِ الإِنْسَانِ الرُّشْدَ، وَ(**الرُّشْدُ**) هُوَ: أَنْ يَبْلُغَ عَاقِلًا مَأْمُونًا عَلَى نَفْسِهِ، حَسَنَ التَّصَرُّفِ.

وَمَرْحَلَةُ (**الأَشُدِّ**) هِيَ: مَرْحَلَةُ النُّضْجِ وَالعَقْلِ وَحُسْنِ التَّصَرُّفِ، وَهِيَ (**مَرْحَلَةُ الشَّبَابِ**) الَّتِي عَنْهَا نَتَحَدَّثُ فِي هَذَا الكِتَابِ.

٤. مَرْحَلَةُ الشَّيْخُوخَةِ:

وَهِيَ آخِرُ المَرَاحِلِ فِي حَيَاةِ الإِنْسَانِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي تَحْدِيدِ أَوَّلِهَا إِلَى أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ، وَأَحْوَالُ الإِنْسَانِ فِيهَا مُتَفَاوِتَةٌ، فَآخِرُهَا: عَجْزٌ، وَهَرَمٌ، وَضَعْفٌ، وَخَرَفٌ، حَتَّى يُرَدّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ.

٥. المَوْت:

وَهُوَ نِهَايَةُ كُلِّ حَيٍّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (العَنْكَبُوت/ ٥٧).

****

* وَفِي الحَقِيقَةِ؛ يَخْتَلِفُ تَحْدِيدُ الفَتْرَةِ العُمْرِيَّةِ المُحَدَّدَةِ الَّتِي تُشَكِّلُ الشَّبَابَ مِنْ شَخْصٍ لآخَرَ؛ فَقَدْ لَا يَتَوَافَقُ نُضْجُ الأَفْرَادِ الفِعْلِيِّ مَعَ عُمُرِهِمُ الزَّمَنِيِّ بِسَبَبِ وُجُودِ الأَفْرَادِ غَيْرِ النَّاضِجِينَ فِي جَمِيعِ الأَعْمَارِ.

قَدْ جَعَلَ بَعْضُهُمْ مَوَاسِمَ العُمُرِ خَمْسَةً:

المُوسِم الأَوَّل: مِنْ وَقْتِ الوِلَادَةِ إِلَى زَمَانِ البُلُوغِ؛ وَذَلِكَ خَمْس عَشْرَ سَنَة.

وَالثَّانِي: مِنْ زَمَانِ بُلُوغِهِ إِلَى نِهَايَةِ شَبَابِهِ، وَذَلِكَ إِلَى تَمَامِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، (وَهُوَ زَمَنُ الشَّبَابِ).

وَالثَّالِث: مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ إِلَى تَمَامِ خَمْسِينَ سَنَةٍ، وَذَلِكَ زَمَانُ كُهُولَتِهِ. وَقَدْ

يُقَالُ: (كَهْلٌ) لِـمَا قَبْلَ ذَلِكَ.

الرَّابع: مِنْ بَعْدِ الخَمْسِينَ إِلَى تَمَامِ السَّبْعِينَ، وَذَلِكَ زَمَانُ الشَّيْخُوخَةِ.

وَالخَامِس: مَا بَعْدَ السَّبْعِينَ إِلَى آخِرِ العُمُرِ؛ فَهُوَ زَمَنُ الهِرَمِ.

وَقَدْ يَتَقَدَّمُ مَا ذُكِرَ مِنَ السِّنِينَ وَيَتَأَخَّرُ.

وَانْظُرْ: كِتَابَ ابْنِ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ "تَنْبِيه النَّائِمِ الغُمُر عَلَى مَوَاسِمِ العُمُر" (ص ٣٦ وَمَا بَعْدَهَا).

* وَحَدَّدَ بَعْضُهُمْ سِنَّ (**الرُّشْدِ**) بِثَمَانِي عَشْرَة سَنَةٍ، وَبَعْضُهُمْ بِسَبْعَةِ عَشْرَ سَنَةٍ.

وَقَالَ الجَوْهَرِيُّ فِي "الصِّحَاح": **الأَشُدُّ**: مَا بَيْنَ ثَمَانِي عَشْرَة إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةٍ.

****

* وَيَخْتَلِفُ العُمُرُ الَّذِي يُعْتَبَرُ الشَّخْصُ أَصْبَحَ شَابًّا، وَيُعَامَلُ مُعَامَلَةً مُحَدَّدَةً فِي ظِلِّ القَانُونِ وَالمُجْتَمَعِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ العَالَمِ:

الجَمْعِيَّة العَامَّة لِلْأُمَمِ المُتَّحِدَة: "شَبَاب... أُولَئِكَ الأَشْخَاصُ الَّذِينَ تَتَرَاوَحُ أَعْمَارُهُمْ بَيْنَ ١٥ و٢٤ عَامًا".

"وَمُصْطَلَحُ (الشَّبَاب) بِصِفَةٍ عَامَّةٍ يَرْمُزُ إِلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ تَتَرَاوَحُ أَعْمَارُهُمْ مَا بَيْنَ ١٥ إِلَى ٢٥". البَنْك الدُّوَلِيّ.

بِرْنَامِج الكُومُنْوِلْث لِلشَّبَابِ يَعْمَلُ مَعَ الشَّبَابِ (الَّذِينَ تَتَرَاوَحُ أَعْمَارُهُمْ بين ١٥-٢٩).

الإِدَارَة الوَطَنِيَّة لِسَلَامَةِ مُرُورِ الطُّرُقِ: "... تَحْتَ ٢١ سَنَةٍ مِنَ العُمُرِ".

مَدْرَسَة مُقَاطَعَةِ وِيلْسُون: "الَّذِينَ تَتَرَاوَحُ أَعْمَارُهُمْ بَيْنَ ١٤ و٢١".

البُيُوت البَدِيلَة لِلشَّبَابِ: "في الفَتْرَةِ مِنْ ١٣ إِلَى ١٩ سَنَةٍ مِنَ العُمُرِ".

****

* وَجَاء في (**فِقْه اللُّغَة**) لِلثَّعَالِبِيِّ:

(**في تَرْتِيبِ سِنِّ الغُلَامِ**) يُقَالُ لِلصَّبِيِّ: إِذَا وُلِدَ رَضِيعٌ وَطِفْلٌ، ثُمَّ فَطِيمٌ، ثُمَّ دَارِجٌ، ثُمَّ حَفْرٌ، ثُمَّ يَافِعٌ، ثُمَّ شَدْخٌ، ثُمَّ مُطَبِّخٌ، ثُمَّ كَوْكَبٌ.

(أَشْفَى فيهُ في تَرْتِيبِ أَحْوَالِهِ وَتَنَقُّل السِّنِّ بِهِ إِلَى أَنْ يَتَنَاهَى شَبَابُهُ) (عَنِ الأَئِمَةِ المَذْكُورِينَ):

مَا دَامَ فِي الرَّحِمِ فَهُوَ جَنِينٌ، فَإِذَا وُلِدَ فَهُوَ وَلِيدٌ، وَمَا دَامَ لَمْ يَسْتَتِمَّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ فَهُوَ صَدِيغٌ لأَنَّهُ لَا يَشْتَدُّ صُدْغُهُ إِلَى تَمَامِ السَّبْعَةِ، ثُمَّ مَا دَامَ يَرْضَعُ فَهُوَ رَضِيعٌ، ثُمَّ إِذَا قُطِعَ عَنْهُ اللَّبَنُ فَهُوَ فَطِيمٌ، ثُمَّ إِذَا غَلُظَ وَذَهَبَتْ عَنْهُ تَرَارَةُ الرَّضَاعِ فَهُوَ جَحْوَشٌ عَنِ الأَصْمَعِيِّ، وَأَنْشَدَ لِلْهُذَلِيِّ (مِنَ الوَافِرِ):

قَتَلْنَا مَخْلَدًا وَابْنَيْ حَرَاقٍ وَآخَرَ جَحْوَشًا فَوْقَ الْفَطِيمِ

قَالَ الأَزْهَرِيُّ: كَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الجَحْشِ الَّذِي هُوَ وَلَدُ الحِمَارِ.

ثُمَّ هُوَ إِذَا دَبَّ وَنَمَا فَهُوَ دَارِجٌ، فَإِذَا بَلَغَ طُولُهُ خَمْسَةَ أَشْبَارٍ فَهُوَ خُمَاسِيٌّ، فَإِذَا

سَقَطَتْ رَوَاضِعُهُ فَهُوَ مَثْغُورٌ عَنْ أَبِي زَيْدٍ، فَإِذَا نَبَتَتْ أَسْنَانُهُ بَعْدَ السُّقُوطِ فَهُوَ مُثَّغِرٌ؛ بِالثَّاءِ وَالتَّاءِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، فَإِذَا كَادَ يُجَاوِزُ العَشْرَ السِّنِينَ أَوْ جَاوَزَهَا فَهُوَ مُتْرَعْرِعٌ وَنَاشِئٌ، فَإِذَا كَادَ يَبْلُغُ الحُلُمَ أَوْ بَلَغَهُ فَهُوَ يَافِعٌ وَمُرَاهِقٌ. فَإِذَا احْتَلَمَ وَاجْتَمَعَتْ قُوَّتُهُ فَهُوَ حَزَوَّرٌ وَحَزْوَرٌ . وَاسْمُهُ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الأَحْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا غُلَامٌ.

فَإِذَا اخْضَرَّ شَارِبُهُ وَأَخَذَ عِذَارُهُ يَسِيلُ قِيلَ: بَقَلَ وَجْهُهُ، فَإِذَا صَارَ ذَا فَتَاءٍ فَهُوَ فَتًى وَشَارِخٌ، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لِحْيَتُهُ وَبَلَغَ غَايَةَ شَبَابِهِ فَهُوَ مُجْتَمِعٌ، ثُمَّ مَا دَامَ بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالأَرْبَعِينَ فَهُوَ شَابٌّ، ثُمَّ هُوَ كَهْلٌ إِلَى أَنْ يَستَوفِيَ السِّتِّينَ.

(**فِي ظُهُورِ الشَّيْبِ وعُمُومِهِ**) يُقَالُ للرَّجُلِ أَوَّلَ مَا يَظْهَرُ الشَّيْبُ بِهِ: قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ، فَإِذَا زَادَ قِيلَ: قَدْ خَصَّفَهُ وَخَوَّصَهُ، فَإِذَا ابْيَضَّ بَعْضُ رَأْسِهِ؛ قِيلَ: أَخْلَسَ رَأْسُهُ فَهُوَ مُخْلِسٌ، فَإِذَا غَلَبَ بَيَاضُهُ سَوَادَهُ فَهُوَ أَغْثَمُ عَنْ أبي زَيْدٍ، فَإِذَا شَمِطَتْ مَوَاضِعُ مِنْ لِحْيَتِهِ قِيلَ: قَدْ وَخَزَهُ القَتِيرُ وَلَهَزَهُ، فَإِذَا كَثُرَ فِيهِ الشَّيْبُ وَانْتَشَرَ قِيلَ: قَدْ تَفَشَّغَ فِيهِ الشَّيْبُ عَنْ أبي عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍو.

(**فِي الشَّيْخُوخَةِ وَالكِبَرِ**) (عَنْ أَبِي عَمْرٍو عَنْ ثَعْلَبٍ عَنِ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ): يُقَالُ: شَابَ الرَّجُلُ، ثُمَّ شَمِطَ، ثُمَّ شَاخَ، ثُمَّ كَبِرَ، ثُمَّ تَوَجَهَ، ثُمَّ دَلَفَ، ثُمَّ دَبَّ، ثُمَّ مَجَّ، ثُمَّ هَدَجَ، ثُمَّ ثَلَّبَ، ثُمَّ المَوْتُ.

(فِي مِثْلِ ذَلِكَ جُمِعَ فِيهِ بَيْنَ أَقَاوِيلِ الأَئِمَّةِ) يُقَالُ: عَتَا الشَّيْخُ وَعَسَا، ثُمَّ

تَسَعْسَعَ وَتَقَعْوَسَ، ثُمّ هَرِمَ وَخَرِفَ، ثُمَّ أَفْنَدَ وَاهْتِرَ، ثُمَّ لَعِقَ إِصْبَعَهُ وَضَحَا ظِلُّهُ إِذَا مَاتَ.

(يُقَارِبُهُ) إِذَا شَاخَ الرَّجُلُ وَعَلَتْ سِنُّهُ فَهُوَ قَحْوٌ وَقَحْبٌ، فَإِذَا وَلَّى وَسَاءَ عَلَيْهِ أَثَرُ الكِبَرِ فَهُوَ يَفَنٌ وَدِرْدَحٌ، فَإِذَا زَادَ ضَعَفُهُ وَنَقَصَ عَقْلُهُ فَهُوَ جِلْحَابٌ وَمُهْتَرٌ.

(فِي تَرْتِيبِ سِنِّ المَرْاَةِ) هِيَ طِفْلَةٌ مَا دَامَتْ صَغِيرَةً، ثُمَّ وَلِيدَةٌ إِذَا تَحَرَّكَتْ، ثُمَّ كَاعِبٌ إِذَا كَعَبَ ثَدْيُهَا، ثُمَّ نَاهِدٌ إِذَا زَادَ، ثُمَّ مُعْصِرٌ إِذَا أَدْرَكَتْ، ثُمَّ عَانِسٌ إِذَا ارْتَفَعَتْ عَنْ حَدِّ الإِعْصَارِ، ثُمَّ خَوْدٌ إِذَا تَوَسَّطَتِ الشَّبَابَ، ثُمَّ مُسْلِفٌ إِذَا جَاوَزَتِ الأَرْبَعِينَ، ثُمَّ نَصَفٌ إِذَا كَانَتْ بَيْنَ الشَّبَابِ وَالتَّعْجِيزِ، ثُمَّ شَهْلَةٌ كَهْلَةٌ إِذَا وَجَدَتْ مَسَّ الكِبَرِ وَفِيهَا بَقِيَّةٌ وَجَلَدٌ، ثُمَّ شَهْبَرَةٌ إِذَا عَجَّزَتْ وَفِيهَا تَمَاسُكٌ، ثُمَّ حَيْزَبُونٌ إِذَا صَارَتْ عَالِيَةَ السِّنِّ نَاقِصَةَ القُوَّةِ، ثُمَّ قَلْعَمٌ وَلَطْلِطٌ إِذَا انْحَنَى قَدُّهَا وَسَقَطَتْ أَسْنَانُهَا.

****

قَبْلَ أَنْ تَغْرَقَ السَّفِينَةُ ..
أَنْقِذُوا الشَّبَابَ!

إِنَّ الشَّبَابَ هُمُ اليَوْمُ وَالغَدُ .. هُمْ عُنْوَانُ مُسْتَقْبَلِ الأُمَّةِ، وَمِقْيَاسُ تَقَدُّمِهَا، وَقَلْبُهَا النَّابِضُ .. هُمُ القُوَّةُ الدَّافِعَةُ وَالشَّرِيحَةُ الفَعَّالَةُ فِي الأُمَّةِ، وَهُمْ قُوامُ هَيْكَلِهَا وَرِغْدُ آمَالِـهَا .. هُمْ حُمَاةُ الوَطَنِ وَالمُنَافِحُونَ عَنْ حُرْمَتِهِ؛ فَهُمْ سِيَاجُ رَوْضِهِ، وَحِرْزِهِ المَكِينِ، وَهُمُ السَّوَاعِدُ الَّتِي تَبْنِي وَتُنْتِجُ .. وَهُمُ الرُّوحُ الفَعَّالَةُ الَّتِي تَدْفَعُ عَجَلَةَ الحَيَاةِ .. وَيُمَثِّلُونَ فِي الأُمَّةِ هَيْكَلَهَا العَضَلِيَّ؛ وَلِذَا تَقُولُ **حَفْصَةُ بِنْتُ سِيرِينَ**: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! اعْمَلُوا فَإِنَّمَا العَمَلُ فِي الشَّبَابِ».

وَفَتْرَةُ الشَّبَابِ هِيَ أَزْهَى وَأَزْهَرُ فَتَرَاتِ العُمْرِ وَأَثْمَنُ أَوْقَاتِهِ ، وَفِيهَا نَضَارَةُ الشَّبَابِ وَزَهْوَتُهُ وَقُوَّتُهُ وَفُتُوَّتُهُ، وَهِيَ دَوْرٌ مِنْ أَهَمِّ أَدْوَارِ العُمْرِ فِي أَثْنَاءِ تَنَقُّلِهِ بَيْنَ مَرَاحِلِ العُمْرِ المُخْتَلِفَةِ، وَتَمْتَدُّ مِنْ أَوَائِلِ العَشْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى أَوَاخِرِ العَشْرَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ العُمْرِ، وَتَشْهَدُ مَرْحَلَةُ الشَّبَابِ فِي بِدَايَتِهَا نِهَايَةَ الطُّفُولَةِ، وَالانْتِقَالَ إِلَى المُرَاهَقَةِ وَالبُلُوغِ، وَتَشْهَدُ فِي أَوَاخِرِهَا النُّضْجَ الجُسْمَانِيَّ وَالرُّشْدَ العَقْلِيَّ وَالخُلُقِيَّ وَالاِلْتِزَامَ الاِجْتِمَاعِيَّ، وَالشُّعُورَ بِالمَسْؤُولِيَّةِ وَالاِسْتِقْلَالَ فِي الحَيَاةِ، وَسُرْعَانُ مَا يَرْتَحِلُ الإِنْسَانُ مِنْهَا وَيَنْسَلُّ إِلَى دَوْرِ الرُّجُولَةِ فَالكُهُولَةِ فَالشَّيْخُوخَةِ.

لِذَا؛ وَجَبَ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَغِلَّهَا أَحْسَنَ اسْتِغْلَالٍ وَيَنْتَفِعَ بِهَا أَتَمَّ انْتِفَاعٍ؛ قَبْلَ أَنْ يُوَلِّيَ الشَّبَابُ وَيَنْدَمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعَ النَّدَمُ، وَلِذَا يَقُولُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(١) «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**».

***

وَالشَّبَابُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ عَنَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ:(٢) «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**».

فَقَلَّمَا تَجْتَمِعُ هَاتَانِ النِّعْمَتَانِ إِلَّا لِلشَّبَابِ، وَسُرْعَانُ مَا تَزُولُ عَنِ الإِنْسَانِ هَاتَانِ النِّعْمَتَانِ أَوْ إِحْدَاهُمَا عِنْدَمَا يَرْتَحِلُ عَنْ مَرْحَلَةِ الشَّبَابِ فَتُصْبِحُ فِي سُرْعَةٍ

---

(١) رَوَاهُ الحَاكِمُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (٤/ ٣٠٦) وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، كَمَا رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الإِيمَانِ (ح ٩٧٦٧)، وَقَالَ الحَافِظُ فِي (الفَتْحِ): "وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ".
وَرَوَاهُ ابْنُ المُبَارَكِ فِي (الزُّهْدِ)، وَأَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (ح ٣٥٤٦٠) وَالنَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ الكُبْرَى (ح ١١٨٣٢)، وَالبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ (ح ٤٠٢١)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الحِلْيَةِ (٤/ ١٤٨)، وَالخَطِيبُ فِي (اقْتِضَاء العِلْمِ العَمَل) (ص ٢١٧)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الإِيمَانِ (ح ٩٧٦٨)؛ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مِنْ مُرْسَلِ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الجَامِعِ (ح ١٠٧٧).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

ارْتِحَالِهَا كَطَيْفِ خَيَالٍ. يَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا شَبَّهْتُ الشَّبَابَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَانَ فِي كُمِّي؛ فَسَقَطَ».

***

وَسَيُسْأَلُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنِ الفَتْرَةِ الخَصْبَةِ مِنْ حَيَاتِهِ: هَلْ ضَيَّعَهَا فِيمَا لَا يَنْفَعُ وَمَا لَا طَائِلَ مِنْ وَرَائِهِ؛ أَمْ يَنْتَفِعُ بِهَا وَيَنْفَعُ بِهَا مُجْتَمَعَهُ وَأُمَّتَهُ؟ وَهَلْ أَطَاعَ اللهَ فِيهَا أَمْ عَصَاهُ؟ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(١) «**لَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ خِصَالٍ، عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَأَيْنَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ**».

***

وَهَذِهِ الفَتْرَةِ مِنَ العُمُرِ فِيهَا اضْطِرَامُ الشَّهَوَاتِ وَقُوَّةُ الأَعْضَاءِ، وَفَوْرَةُ الشَّبَابِ وَجِدَّتُهُ وَجُمُوحُهُ، وَقُوَّةُ الفُتُوَّةِ .. وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِانْسِيَاقِ الشَّبَابِ وَرَاءَ الشَّهَوَاتِ وَالمَلَذَّاتِ، وَالتَّكَالُبِ عَلَى مَطَامِحِ الدُّنْيَا وَمَطَامِعِهَا، حَيْثُ يَغْلُبُ عَلَى الشَّبَابِ اتِّبَاعُ الهَوَى وَالمَيْلُ إِلَى اللَّهْوِ.

---

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (ح ٢٤١٧) وَقَالَ: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ"، وَغَيْرُهُ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ (ح ٩٤٦) وَصَحِيحِ الجَامِعِ (ح ٧٢٩٩).

فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْمُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ وَيُجَاهِدَ نَفْسَهُ وَيَكْبَحَ جِمَاحَهَا وَيَصُدَّهَا عَنْ طَرِيقِ الغُوَايَةِ وَيَنْتَفِعَ بِشَبَابِهِ فِي طَاعَةِ اللهِ؛ فَذَلِكَ الَّذِي عَدَّهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ فَقَالَ:(١) «**وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ**».

إِنَّ أَشَرَّ مَا يُصِيبُ الأُمَمَ فِي صَمِيمِ أَحْشَائِهَا انْغِمَاسُ شَبَابِهَا فِي المَلَذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَالِانْدِفَاعُ فِي تَيَّارِ الغُوَايَةِ وَالشَّهْوَةِ البَهِيمِيَّةِ وَالنَّزَوَاتِ، وَالمُرُوقُ مِنْ شَرِيعَةِ العَفَافِ وَالفَضَائِلِ، وَغَشَيَانُ مَوَاطِنِ اللَّهْوِ وَالفُسُوقِ ..

فَعِنْدَئِذٍ تَنْهَارُ الأُمَمُ؛ حَيْثُ يُصِيبُ الخَوَرُ وَالضَّعْفُ عَزَائِمَ أَبْنَائِهَا، وَيَسْهُلُ خُضُوعُهُمْ لأَعْدَائِهِمْ؛ فَلَنْ يَأْنَفُوا مِنْ هَذَا الخُضُوعِ وَالإِذْعَانِ لِطَاعَتِهِ بَعْدَ أَنْ أَلِفُوا الخُضُوعَ لِتَقَالِيدِهِ وَقِيَمِهِ، وَأَلِفُوا تَقْلِيدَهُ فِي المَظْهَرِ وَالمَخْبَرِ، وَمَا عَادَ هُنَاكَ أَدْنَىٰ فَارِقٍ فِي السَّمْتِ الظَّاهِرِ، نَاهِيكَ عَنِ الحَمَاسِ المُتَّقِدِ فِي السَّيْرِ فِي رِكَابِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الرَّسُولُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ:(٢) «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ**

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَدْ سَبَقَ.

لاَتَّبَعْتُمُوهُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! اَلْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «**فَمَنْ**».

وَفِي رِوَايَةٍ:[1] «**وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامِعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ**».

***

إِنَّ أُمَّةً يَحْرِصُ شَبَابُهَا عَلَىٰ صِيَانَةِ أَعْرَاضِهَا وَعَلَىٰ بَرَاءَتِهَا مِنْ عُيُوبِهَا وَبُعْدِهَا عَنِ السَّيِّئَاتِ؛ لَـهِيَ عَلَىٰ يَقِينٍ جَازِمٍ بِأَنَّهُمْ قَادِرُونَ -بِإِذْنِ الله- عَلَىٰ أَنْ يَدْرَءُوا عَنْهَا -إِذَا قَامُوا بِأَمْرِهَا- مَكَائِدَ الأَعْدَاءِ وَحُلُولَ الدَّاءِ وَانْتِهَاكَ الحُرُمَاتِ وَاسْتِبَاحَةَ المُقَدَّسَاتِ.

وَإِنَّ أُمَّةً هَؤُلَاءِ هُمْ شَبَابُهَا لَجَدِيرَةٌ أَنْ تَعْلُوَ بَيْنَ الأُمَمِ، وَأَنْ تَكُونَ ذَاتَ مِنْعَةٍ وَقُوَّةٍ وَبَأْسٍ وَعَلَمٍ مَرْفُوعٍ وَعِزٍّ مَنِيعٍ.

***

وَلِذَا؛ فَيَجِبُ أَنْ لَا نَسْتَهِينَ بِالشَّبَابِ وَتَرْبِيَتِهِ وَتَنْشِئَتِهِ، فَعَلَىٰ أَكْتَافِهِمْ وَبِسَوَاعِدِهِمْ تَتَقَدَّمُ الأُمَمُ وَتَعْلُو أَوْ تَنْهَارُ، وَهَلْ أُقِيمَ هَذَا الدِّينُ وَعَلَا بُنْيَانُهُ إِلَّا بِهَؤُلَاءِ الصَّحْبِ الكِرَامِ -رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- الَّذِينَ الْتَفُّوا حَوْلَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ؟

---

(١) رَوَاهُ الحَاكِمُ (٤/ ٥٠٢) وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَانْظُرِ الصَّحِيحَةَ (ح ١٣٤٨).

وَهَلْ كَانَ هَؤُلَاءِ الأُوَلُ فِي مُجْمَلِهِمْ إِلَّا شَبَابًا؟ ..

فَوَقْتُ البَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ؛ كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبْلُغُ مِنَ العُمُرِ (٢٧) عَامًا، وَكَانَ عُمْرُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٤) عَامًا، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٣) عَامًا، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١١) سَنَةً، وَكَانَ عُمْرُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ عُمْرُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ إِسْلَامِهِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ، وَكَانَ عُمْرُ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ.

هَذَا؛ وَقَدْ أَسْلَمَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعُمْرُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَوَلَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى اليَمِنِ وَكَانَ عُمْرُهُ دُونَ الثَّلَاثِينَ، وَقَدْ وَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِمْرَةَ الجَيْشِ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ -وَفِيهِ مَنْ فِيهِ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ- وَكَانَ عُمْرُهُ (١٦) سَنَةً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَحَشَرَنَا اللهُ فِي زُمْرَتِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ.

***

وَإِنَّنَا لَنَهِيبُ بِكُلِّ مَنْ وُكِلَ إِلَيْهِ تَرْبِيَةُ وَتَنْشِئَةُ هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ فِي أَيَّامِنَا تِلْكَ: أَنْ يَتَّقُوا اللهَ فِي الشَّبَابِ؛ فَيُحْسِنُوا هَذِهِ التَّرْبِيَةِ وَتِلْكَ التَّنْشِئَةَ بِمَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، فَيُحْسِنُوا اخْتِيَارَ مَا يُرَبَّى عَلَيْهِ الشَّبَابُ وَمَا يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَوَادٍ

وَمَنَاهِجَ[1]، وَالعِنَايَة بِإِعْدَادِ جِيلٍ جَدِيدٍ عَلَىٰ عِلْمٍ وَإِدْرَاكٍ وَفَهْمٍ وَوَعْيٍ يَتَحَمَّلُ مَسْؤُولِيَّتَهُ بِكَفَاءَةٍ وَاقْتِدَارٍ، وَاسْتِمْرَارِيَّةِ نَقْلِ التُّرَاثِ الإِسْلَامِيِّ -إِلَىٰ الأَجْيَالِ الشَّابَّةِ وَالنَّاشِئَةِ- بِقِيَمِهِ وَمُثُلِهِ وَمَبَادِئِهِ وَأَخْلَاقِهِ السَّامِيَةِ فِي مَنْهَجِهِ الرَّبَّانِيِّ الَّذِي تَوَارَثْنَاهُ عَنْ أَسْلَافِنَا العِظَامِ وَالَّذِي يُمَيِّزُنَا عَنْ سَائِرِ أُمَمِ الأَرْضِ، وَتَعْلِيمِهِمْ الخَصَائِصِ المُمَيِّزَةِ لِلأُمَّةِ.

***

وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَنَبَّهُوا لِـمَا يُرَادُ بِهَذِهِ الأُمَّةِ، بَلْ مَا يُرَادُ بِالإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ مِنْ تَمْيِيعِ شَبَابِنَا، وَتَشْوِيهِ وَمَسْخِ عَقْلِهِ وَأَفْكَارِهِ، وَإِثَارَةِ الشُّبُهَاتِ [وَالصَّوَابُ أَنَّهَا أَبَاطِيل] حَوْلَ عَقِيدَتِهِ، وَإِزَالَةِ قَوَاعِدِ الإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَالاِسْتِخْفَافِ بِتَارِيخِهِ وَحَضَارَتِهِ، بَلْ وَتَحْقِيرِ ذَلِكَ فِي نَظَرِهِ .. وَبَتْرِ صِلَتِهِ بِهَذَا الدِّينِ القَوِيمِ وَبِرِجَالَاتِهِ الغُرِّ المَيَامِين، وَإِخْرَاجِ جِيلٍ مَسْخٍ مُشَوَّهٍ ضَائِعٍ تَائِهٍ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا هَؤُلَاءِ، وَلَا يَصْلُحُ لِشَيْءٍ، فَلَا هُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ الإِنْتَاجِ وَالبِنَاءِ، وَلَا يُمْكِنُ الاِعْتِمَادُ عَلَيْهِ فِي الدِّفَاعِ عَنْ وَطَنِهِ؛ بَلْهَ عَنْ عِرْضِهِ!

---

(١) لِمَصْلَحَةِ مَنْ يُوضَعُ الشَّبَابُ فِي حَيْرَةٍ وَقَلَقٍ وَتَمَزُّقٍ نَفْسِيٍّ بِسَبَبِ الصِّرَاعِ الَّذِي يَنْشَأُ بِدَاخِلِهِ مِنَ التَّنَاقُضِ بَيْنَ العَقَائِدِ وَالحَقَائِقِ وَالمَبَادِئِ وَالقِيَمِ وَالمُثُلِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالغَايَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خُلِقَ (وَهِيَ عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ)، وَبَيْنَ النَّظَرِيَّاتِ المُسْتَوْرَدَةِ مِنَ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ وَالحَيَاةِ الغَرْبِيَّةِ البَهِيمِيَّةِ الَّتِي تُزَيَّنُ لَهُ؟!

جَاءَ فِي تَحْقِيقٍ صُحَفِيٍّ لِلأُسْتَاذِ/ عِزَّت السَّعْدَنِيِّ بِعُنْوَان (الذِّئَاب يَعْبَثُونَ)؛ المَنْشُورِ بِجَرِيدَةِ الأَهْرَامِ بِتَارِيخِ ٥/ ٦/ ١٩٩٩م:

* الفَنُّ الهَابِطُ فِي السِّينَمَا وَفِي المَسْرَحِ وَفِي التِّلِيفِزْيُون .. مُسَلْسَلَاتٌ تُولِّع الجِسْمَ؛ كَمَا قَالَ لِي مُرَاهِقٌ شَابٌّ .. أَفْلَامٌ كُلُّ دِيكُورَاتِهَا فِي حَجْرَةِ النَّوْمِ، وَبَنَاتٌ عَرَايَا، وَإِعْلَانَاتٌ مُسْتَفِزَّةٌ مَيَّاصَةٌ، وَدَلَعٌ وَانْفِلَاتٌ فِي الحَرَكَاتِ وَالإِيمَاءَاتِ وَالإِشَارَاتِ .. وَلَا أَحَدَ يُحَاسِبُ أَحَدًا .. وَفَنَّانَاتٌ وَمُخْرِجَاتٌ يُدَافِعْنَ عَنِ الجِنْسِ عَلَانِيَةً وَعَلَى شَاشَةِ التِّلِيفِزْيُون!!

* غِيَابُ القُدْوَةِ الحَسَنَةِ فِي حَيَاتِنَا وَغِيَابُ الوَعْيِ الدِّينِيِّ .. وَلَمْ يَعُدْ هُنَاكَ دَوْرٌ لِلْمَسْجِدِ .. وَالَّذِي يَذْهَبُ مِنَ الشَّبَابِ إِلَى المَسْجِدِ يَقُولُونَ عَنْهُ: إِنَّهُ مُتَطَرِّفٌ .. وَالآبَاءُ يَمْنَعُونَ أَبْنَاءَهُمْ مِنَ الذِّهَابِ إِلَى المَسْجِدِ خَوْفًا عَلَيْهِمْ .. وَالبَرَامِجُ الدِّينِيَّةُ فِي التِّلِيفِزْيُون تَقَلَّصَتْ أَوْ تَتَقَلَّصُ وَلَا تَزِيدُ إِلَّا فِي رَمَضَانَ .. وَمَادَّةُ الدِّينِ فِي المَدَارِسِ مِنْ بَابِ العِلْمِ بِالشَّيْءِ فَقَطْ، لَيْسَ عَلَيْهَا دَرَجَاتٌ؛ فَلِمَاذَا يَهْتَمُّ بِهَا؟!

* المَدَارِسُ لَمْ تَعُدْ تُرَبِّي، وَالجَامِعَاتُ تَحَوَّلَتْ إِلَى عُلَبِ سَرْدِينٍ مِنْ كَثْرَةِ الطُّلَّابِ، وَالمُخَدِّرَاتُ –وَفِي مُقَدِّمَتِهَا البَانْجُو– انْتَشَرَتْ فِي المَدَارِسِ!

* وَالأَبْحَاثُ العِلْمِيَّةُ تَقُولُ: إِنَّ نَحْوَ ١٦٪ مِنْ شَبَابِ الجَامِعَاتِ مُدْمِنُونَ،

أَمَّا البَاقُونَ فَمُهْتَمُّونَ بِالزَّوَاجِ العُرْفِيِّ، حَتَّى إِنَّ ٤٪ مِنَ الطَّالِبَاتِ مُتَزَوِّجَاتٍ عُرْفِيًّا، وَهُوَ رَقْمٌ أَقَلُّ بِكَثِيرٍ مِنَ الحَقِيقَةِ المُرَّةِ؛ لأَنَّ مَنْ تَتَزَوَّجُ عُرْفِيًّا لَا تُعْلِنُ عَنْ نَفْسِهَا.أ.هـ.

***

إِنَّ المُتَرَبِّصِينَ بِالأُمَّةِ وَشَبَابِهَا يَبُثُّونَ وَيَزْرَعُونَ بُذُورَ ثَقَافَتِهِمُ الفَاسِدَةِ الفَاجِرَةِ الَّتِي تُنَاؤِئُ المَبَادِئَ الإِسْلَامِيَّةَ، وَيُرِيدُونَ بِمُخَطَّطَاتِهِمُ المَدْرُوسَةِ تَذْوِيبَ الحُدُودِ وَالسُّدُودِ العَقَائِدِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالأَخْلَاقِيَّةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ أُمَّتِنَا وَبَيْنَهُمْ لِصَالِحِهِمْ، وَصَبْغِهِمْ بِشَخْصِيَّتِهِمْ وَمَحْوِ الشَّخْصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ المُمَيَّزَةِ، وَانْصِهَارِهِمْ فِي بَوْتَقَةِ الحَيَاةِ الغَرْبِيَّةِ؛ بِحَيْثُ يَسْهُلُ انْهِيَارُ كِيَانِنَا القَوْمِيِّ وَزَوَالُ شَخْصِيَّتِنَا الإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الوُجُودِ كَمَا زَالَتْ أُمَمٌ سَابِقَةٌ انْمَحَتْ خَصَائِصُهَا وَذَهَبَتْ سِمَاتُهَا المُمَيِّزَةُ؛ فَمَا عَادَ يُرَىٰ لَـهَا أَثَرٌ فِي الحَيَاةِ.

وَلِذَا؛ لَابُدَّ أَنْ تَنْظُرَ الأُمَّةُ نَظْرَةَ كُرْهٍ وَعَدَاءٍ إِلَىٰ كُلِّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُرَبِّيَ شَبَابَنَا عَلَىٰ الاِسْتِهْتَارِ بِالقِيَمِ وَالمُثُلِ، وَتَحْطِيمِ قُيُودِ الأَخْلَاقِ وَالآدَابِ، وَالاِسْتِخْفَافِ بِالفَرَائِضِ وَالوَاجِبَاتِ، وَتَزْيِينِ الثَّقَافَةِ الغَرْبِيَّةِ العَاهِرَةِ الفَاجِرَةِ، وَالوُلُوعِ بِالمُجُونِ وَالفُجُورِ، وَالتَّقْلِيدِ الأَعْمَىٰ لِكُلِّ مَا هُوَ غَرْبِيٌّ فِي القُشُورِ وَالظَّوَاهِرِ.

***

وَعَلَىٰ المَسْؤُولِينَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ نَهْضَتَنَا وَتَقَدُّمَنَا وَرِفْعَتَنَا وَعِزَّتَنَا وَسِيَادَتَنَا لَنْ

تَكُونَ إِلَّا بِتَمَيُّزِنَا بِشَخْصِيَّتِنَا الإِسْلَامِيَّةِ وَاتِّبَاعِ تَعَالِيمِ الإِسْلَامِ، وَتَعْلِيمِ الشَّبَابِ وَالنَّاشِئَةِ: العَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ الصَّافِيَةَ الخَالِيَةَ مِنَ الشِّرْكِ وَالخُرَافَاتِ وَالخُزَعْبَلَاتِ، وَتَحْصِينِهِ ضِدَّ الأَفْكَارِ الهَدَّامَةِ وَالمَبَادِئَ الإِلْحَادِيَّةِ، وَالرَّدِّ عَلَى الشُّبُهَاتِ الَّتِي يُثِيرُهَا أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى قَضِيَّةِ الوَلَاءِ وَالبَرَاءِ، وَتَأْصِيلِهَا وَعَدَمِ السَّمَاحِ بِتَمْيِيعِهَا، وَتَثْبِيتِ الأَخْلَاقِ وَالقِيَمِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَتَبْغِيضِهِمْ فِي جَمِيعِ المُنْكَرَاتِ وَالمُوبِقَاتِ وَالفَوَاحِشِ الأَخْلَاقِيَّةِ، وَرَبْطِهِمْ بِسِيرَةِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [الأُسْوَةِ وَالقُدْوَةِ] وَسِيرَةِ صَحَابَتِهِ الكِرَامِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَسِيرَةِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ مِنَ العُلَمَاءِ وَالفُقَهَاءِ وَالقَادَةِ وَالمُجَاهِدِينَ وَالزُّهَّادِ وَالعُبَّادِ[1]، وَالِانْتِفَاعِ بِالدُّرُوسِ وَالعِبَرِ وَالعِظَاتِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مَعَ الإِلْمَامِ بِتَارِيخِهِمُ الإِيمَانِيِّ وَالمِحَنِ الَّتِي أَلَمَّتْ بِهِمْ وَحُسْنِ بَلَائِهِمْ وَصَبْرِهِمْ، وَتَارِيخِ جِهَادِهِمْ وَفُتُوحَاتِهِمْ، وَمَعْرِفَةِ عِبَادَتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ وَاسْتِقَامَتِهِمْ وَزُهْدِهِمْ وَتَجَرُّدِهِمْ وَتَفَانِيهِمْ وَتَضْحِيَاتِهِمْ ... وَرَبْطِ الشَّبَابِ

---

(١) لِلْأَسَفِ؛ أَكْثَرُ مَا يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ شَبَابِ اليَوْمِ أَسْمَاءُ المُمَثِّلِينَ وَالمُطْرِبِينَ وَالرَّاقِصِينَ وَاللَّاعِبِينَ، وَمَنْ لَا قِيمَةَ لَهُ وَلَا وَزْنَ فِي مِيزَانِ الإِسْلَامِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحُجُرَات/ ١٣).

بِمَاضِينَا المَجِيدِ، وَحَثِّهِمْ عَلَىٰ العَمَلِ عَلَىٰ إِحْيَائِهِ وَإِعَادَتِهِ بِصُورَةٍ مُشْرِقَةٍ بَرَّاقَةٍ إِلَىٰ وَاقِعِ الحَيَاةِ، وَتَرْبِيَتِهِمْ عَلَىٰ التَّضْحِيَةِ وَالبَذْلِ وَالعَطَاءِ وَالجِهَادِ وَالاِسْتِشْهَادِ وَاسْتِرْخَاصِ النَّفْسِ وَالنَّفِيسِ فِي سَبِيلِ الإِسْلَامِ وَرِفْعَتِهِ وَنَشْرِهِ فِي الآفَاقِ، وَأَيْضًا تَرْبِيَتِهِمْ عَلَىٰ التَّمَيُّزِ مِنْ خِلَالِ تَعْرِيفِهِمْ مَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ الشَّخْصِيَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ، وَأَنَّ اسْتِمْرَارَ نَقْلِ التُّرَاثِ الحَضَارِيِّ الإِسْلَامِيِّ بِخَصَائِصِهِ المُمَيِّزَةِ إِلَىٰ الأَجْيَالِ القَادِمَةِ ضَرُورَةٌ حَتْمِيَّةٌ لِلْإِبْقَاءِ عَلَىٰ كِيَانِنَا وَشَخْصِيَّتِنَا، وَحَمْلِ هَذَا اللِّوَاءِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَاجِبٌ مُلِحٌّ مِنْ خِلَالِ كَافَّةِ المُؤَسَّسَاتِ وَالهَيْئَاتِ الَّتِي لَهَا صِلَةٌ بِالشَّبَابِ؛ وَخَاصَّةً المَعَاهِدِ التَّعْلِيمِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ مِنْ مَدَارِسٍ وَجَامِعَاتٍ، وَوَسَائِلِ الإِعْلَامِ المُخْتَلِفَةِ مِنْ رَادْيُو وَتِلْفَازٍ وَصُحُفٍ وَمَجَلَّاتٍ وَكُتُبٍ وَنَشَرَاتٍ، وَالنَّوَادِي الرِّيَاضِيَّةِ وَدُورِ الشَّبَابِ .. إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤَثِّرُ وَيُكَوِّنُ عَقْلِيَّةَ الشَّبَابِ وَشَخْصِيَّتَهُمْ.

***

وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ يُوجَدُ بَيْنَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَنَارَتْ قُلُوبُهُمْ بِنُورِ الإِيمَانِ وَاليَقِينِ، وَيُقَدِّرُونَ حَجْمَ المَسْؤُولِيَّةِ وَالمَهَامِ الجِسَامِ المُلْقَاةِ عَلَىٰ كَوَاهِلِهِمْ، وَعَلَىٰ اسْتِعْدَادٍ لِبَذْلِ المُهَجِ وَالأَرْوَاحِ وَالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ وَكُلِّ مُرْتَخَصٍ وَغَالٍ عَنْ طَوَاعِيَةٍ فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِ وَمَبَادِئِهِ؛ لِيَنَالُوا رِضَى المَوْلَىٰ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلِيَسْتَحِقُّوا سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ، وَلِيَنْقِذُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ مِنَ النَّارِ، وَلِيَنْهَضُوا وَيَرْقُوا بِأُمَّتِهِمْ

دُونَ النَّظَرِ لِكَسْبٍ دُنْيَوِيٍّ زَائِلٍ مِنْ مَالٍ أَوْ مَنْصِبٍ أَوْ جَاهٍ، وَيَعْلَمُونَ مَا يُحَاكُ بِهِمْ وَمِنْ حَوْلِهِمْ، وَيَعْرِفُونَ وَاجِبَهُمْ وَمَا أُنِيطَ بِهِمْ، وَيُؤَدُّونَهُ بِوَعْيٍ وَهِمَّةٍ وَنَشَاطٍ لَا يَعْرِفُ الكَلَلَ وَلَا المَلَلَ، وَيَشُقُّونَ طَرِيقَهُمْ فِي الأَشْوَاكِ وَالأَخْطَارِ وَفِي الآلَامِ وَالجِرَاحِ؛ وَرُبَّمَا يُحَارَبُونَ مِنَ القَرِيبِ قَبْلَ الغَرِيبِ، لِغُرْبَتِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ، تِلْكَ الغُرْبَةُ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ:(١) «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»، فَطُوبَى لِهَؤُلَاءِ الشَّبَابِ فِي غُرْبَةِ الإِسْلَامِ الثَّانِيَةِ.

يُؤَدُّونَ وَاجِبَهُمْ وَهُمْ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ طَرِيقَ الجَنَّةِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَسْلُكُوهُ مَحْفُوفٌ بِالمَكَارِهِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:(٢) «**حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**». فَالحَيَاةُ المُوَصِّلَةُ إِلَى الجَنَّةِ إِنَّمَا هِيَ جِدٌّ وَاجْتِهَادٌ وَكِفَاحٌ وَبَذْلٌ وَتَضْحِيَةٌ، طَرِيقٌ لَا يَعْرِفُ العَبَثَ وَلَا يَثْبُتُ فِيهِ إِلَّا

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ١٤٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَفِي البَابِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ١٤٦)، وَانْظُرِ "المِشْكَاة" بِتَحْقِيقِ الأَلْبَانِيِّ (ح ١٧٠).

وَلِلْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الحَنْبَلِيِّ رِسَالَةٌ قَدِ اسْتَوْفَى فِيهَا شَرْحَ هَذَا الحَدِيثِ؛ سَمَّاهَا "كَشْف الكُرْبَة فِي وَصْفِ أَهْلِ الغُرْبَة".

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٢٨٢٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (ح ٢٥٦٢)، وَأَحْمَدُ (٣/ ٢٤٥، ٢٨٤).

الشَّدِيدُ القَوِيُّ!

***

وَلَكِنْ .. أَقُولُـهَا وَالقَلْبُ يَتَقَطَّعُ حَسَرَاتٍ، وَتَكَادُ العَيْنُ تَذْرِفُ دَمًا: فَوَا أَسَفَىٰ! إِذْ نَشَأَ مُعْظَمُ شَبَابِ اليَوْمِ نَشْأَةً نَاعِمَةً مُتْرَفَةً، فَنَشَأَ لَا صَبْرَ عِنْدَهُ وَلَا جَلَدَ، وَلَا تَمَاسُكَ وَلَا ثَبَاتٍ، وَلَا خُشُونَةَ وَلَا فُتُوَّة .. حَيَاتُهُ لَـهْوٌ وَعَبَثٌ .. وَغِنَاءٌ وَرَقْصٌ .. فَوْضَى وَتَفَسُّخٌ؛ وَرُبَّمَا مُجُونٌ وَفُجُورٌ، وَجَهْلٌ فَاضِحٌ بِالإِسْلَامِ وَتَعَالِيمِهِ .. وَلَا دِينِيَّةَ فِي التَّفْكِيرِ وَالسُّلُوكِ، تَزَعْزُعٌ فِي العَقِيدَةِ، وَرِدَّةٌ فِي الفِكْرِ، وَاضْمِحْلَالٌ لِقِيَمِ وَمَبَادِئِ وَأَخْلَاقِيَّاتِ الإِسْلَامِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَتَكَالُبٌ عَلَى الشَّهَوَاتِ وَالمَلَذَّاتِ .. حَيَاةٌ بَهِيمِيَّةٌ لَا صِلَةَ لَـهَا بِحَيَاةِ المُسْلِمِينَ!

أَصْبَحُوا مَعَاوِلَ هَدْمٍ فِي بِنَاءِ الإِسْلَامِ الشَّامِخِ، أَوْ كَأَلْوَاحٍ نَخِرَةٍ فِي سَفِينَةٍ فِي عُرْضِ البَحْرِ؛ إِنْ لَمْ نُسْرِعْ بِإِصْلَاحِ مَا اهْتَرَأَ مِنْهَا وَتَفَسَّخَ غَرَقَتِ السَّفِينَةُ بِمَنْ فِيهَا وَمَا فِيهَا، وَلَا نَجَاةَ حِينَئِذٍ مِنْ هَذَا المَصِيرِ الأَلِيمِ كَشَأْنِ سَائِرِ الأُمَمِ الَّتِي سَبَقَتْ وَخَرَجَتْ عَنْ مِنْهَاجِ رِبِّهَا .. فَهَذِهِ سُنَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللهِ فِي خَلْقِهِ وَلَا مُحَابَاةَ فِيهَا وَلَا مَنَاصَ.

فَهَلْ نَتَنَبَّهُ قَبْلَ أَنْ تَغْرَقَ السَّفِينَةُ[1]، وَيَصْرُخُ الجَمِيعُ مَعِي قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ:

---

(١) فِيهِ إِشَارَةٌ لِـمَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ=

=صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللهِ، وَالوَاقِعِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلاَهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلاَهَا، فَتَأَذَّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ، قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ المَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْمُدْهِنِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فِي البَحْرِ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا، وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَصْعَدُونَ فَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ فَيَصُبُّونَ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلاَهَا فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَعْلاَهَا: لاَ نَدَعُكُمْ تَصْعَدُونَ فَتُؤْذُونَنَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا: فَإِنَّا نَنْقُبُهَا مِنْ أَسْفَلِهَا فَنَسْتَقِي، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ فَمَنَعُوهُمْ نَجَوْا جَمِيعًا وَإِنْ تَرَكُوهُمْ غَرِقُوا جَمِيعًا».

وَ(الْمُدْهِن) أَيِ: المُحَابِي. وَ(الْمُدْهِنُ) وَ(المُدَاهِنُ) وَاحِدٌ؛ وَالْمُرَادُ بِهِ: مَنْ يُرَائِي وَيُضَيِّعُ الحُقُوقَ وَلَا يُغَيِّرُ الْمُنْكَرَ.

* وَالحَدِيثُ يَذْكُرُ فِرَقًا ثَلَاثًا فِي المَثَلِ المَضْرُوبِ:

فَالَّذِينَ أَرَادُوا خَرْقَ السَّفِينَةِ بِمَنْزِلَةِ الْوَاقِعِ فِي حُدُودِ اللهِ؛ وَهُوَ التَّارِكُ لِلْمَعْرُوفِ الْمُرْتَكِبُ لِلْمُنْكَرِ، ثُمَّ مَنْ عَدَاهُمْ:

إِمَّا مُنْكِرٌ وَهُوَ الْقَائِمُ؛ وَهُوَ الْمُسْتَقِيمُ مَعَ أَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا مَنَعَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ وَالآمِرُ بِالْمَعْرُوفِ النَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ. =

«أَنْقِذُوا الشَّبَابَ»!

فَهَلْ مِنْ مُجِيبٍ؟

اللَّهُمَّ! إِنِّي قَدْ بَلَّغْتُ .. اللَّهُمَّ! فَاشْهَدْ.

***

=وَإِمَّا سَاكِت وَهُوَ الْمُدَهِنُ؛ وَهُوَ التَّارِكُ لِلْأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ.

* وَالمَعْنَى أَنَّهُ كَذَلِكَ إِنْ مَنَعَ النَّاسُ الْفَاسِقَ عَنِ الْفِسْقِ نَجَا وَنَجَوْا مِنْ عَذَابِ الله تَعَالَى، وَإِنْ تَرَكُوهُ عَلَى فِعْلِ المَعْصِيَةِ وَلَمْ يُقِيمُوا عَلَيْهِ الحَدَّ حَلَّ بِهِمُ الْعَذَابُ وَهَلَكُوا بِشُؤْمِهِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ (الأنفال/ ٢٥)؛ أَيْ: بَلْ تُصِيبُكُمْ عَامَّةً بِسَبَبِ مُدَاهَنَتِكُمْ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ (المُدَاهَنَةِ) المَنْهِيَّةِ وَ(المُدَارَاةِ) المَأْمُورَةِ؛ أَنَّ (المُدَاهَنَةَ) فِي الشَّرِيعَةِ أَنْ يَرَى مُنْكَرًا وَيَقْدِرَ عَلَى دَفْعِهِ وَلَمْ يَدْفَعْهُ حِفْظًا لِجَانِبِ مُرْتَكِبِهِ أَوْ جَانِبِ غَيْرِهِ لِخَوْفٍ أَوْ طَمَعٍ أَوْ لِاسْتِحْيَاءٍ مِنْهُ أَوْ قِلَّةِ مُبَالَاةٍ فِي الدِّينِ. وَ(المُدَارَاةُ) مُوَافَقَتُهُ بِتَرْكِ حَظِّ نَفْسِهِ وَحَقٍّ يَتَعَلَّقُ بِمَالِهِ وَعِرْضِهِ فَيَسْكُتُ عَنْهُ دَفْعًا لِلشَّرِّ وَوُقُوعِ الضَّرَرِ.

* وَهَكَذَا إِقَامَةُ الحُدُودِ يَحْصُلُ بِهَا النَّجَاةُ لِمَنْ أَقَامَهَا وَأُقِيمَتْ عَلَيْهِ، وَإِلَّا هَلَكَ الْعَاصِي بِالمَعْصِيَةِ وَالسَّاكِتُ بِالرِّضَا بِهَا.

* وَفِي الحَدِيثِ: اسْتِحْقَاقُ الْعُقُوبَةِ بِتَرْكِ الْأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَوُجُوبُ الصَّبْرِ عَلَى أَذَى الجَارِ إِذَا خَشِيَ وُقُوعَ مَا هُوَ أَشَدُّ ضَرَرًا، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِصَاحِبِ السُّفْلِ أَنْ يُحْدِثَ عَلَى صَاحِبِ الْعُلْوِ مَا يَضُرُّ بِهِ، وَأَنَّهُ إِنْ أَحْدَثَ عَلَيْهِ ضَرَرًا لَزِمَهُ إِصْلَاحُهُ، وَأَنَّ لِصَاحِبِ الْعُلْوِ مَنْعَهُ مِنَ الضَّرَرِ، وَفِيهِ جَوَازُ قِسْمَةِ الْعَقَارِ المُتَفَاوِتِ بِالْقُرْعَةِ؛ وَإِنْ كَانَ فِيهِ عُلْوٌ وَسُفْلٌ.